السياسة الخارجية للنظام الإسلامي.. الاتجاه العام، الأسس، التحدّيات

المناسبة: ملتقى مسؤولي البعثات الدبلوماسية الإيرانية والمعتمدين في الدول الأجنبية

الزمان والمكان: 16 جمادى الأولى 1421هـ ق طهران

الحضور: مسؤولو وأعضاء السلك الدبلوماسي الإيراني

بسم الله الرحمن الرحيم

بادئ ذي بدء أرحّب بكم جميعاً أيها الأخوات والأخوة, حيث هيّأتم لنا هذه الفرصة الثمينة، وإنني في كل مرّة ألتقيكم ــ أيّها الناشطون في سلك السياسة الخارجية ــ فإن ذلك اللقاء يترك انطباعاً عطراً وطيّباً في ذاكرتي، وبالطبع فإن للقائنا هذا اليوم ما يميّزه, وهو حضور عوائلكم؛ فتبدّل إلى لقاء عائلي، مما أضفى مزيداً من أجواء الصفاء والمودّة؛ على أمل أن يكون لقاءً نافعاً لنا ولكم بإذنه تعالى، وأن يكون كل ما نتحدّث به ونصبو إليه ونقوم به لوجه الله وفي سبيله.

قبل أن أطرح لكم ــ أيها الأعزاء ــ ما كنتُ قد دوّنته، أرى لزاماً عليَّ أن أتقدّم بالشكر لوزارة الخارجية؛ لِما لكم من حقوق على كاهل النظام, أنتم وعوائلكم التي تشاطركم هموم الحياة, وتؤازركم في سبيل تحقيق الأهداف التي تتطلّعون إليها.

ولقد أصاب الدكتور خرازي[1] في وصفه للدبلوماسية بساحة حرب، وهذه هي الحقيقة، فهي ميدان حرب مضنية وشائكة، وبعيداً عن السياقات القتالية، فإنكم تمثّلون جنود الخط الأول في ميدان المواجهة، إذ إنّ إبداعكم وإقدامكم وإيمانكم وعزيمتكم وسائر الخصال والمزايا الأخلاقية التي وهبكم الله تعالى أو تمثلتموها أنتم بأنفسكم، كل ذلك يُعد في حقيقته عوامل تساهم في عكس شوكة النظام الإسلامي واقتداره إلى أقصى بقاع العالم، وإنّ الجهود التي تبذلونها ــ ولستُ هنا بصدد تقييم نشاطكم, فتلك مهمة

[1] كمال خرازي (1ديسمبر 1944) سياسي شغل منصب وزير خارجية إيران (20 أغسطس 1997 ــ 24 أغسطس 2005) في فترة حكم الرئيس محمد خاتمي، ولمدة ثمان سنوات. وخلفه منوشهر متكي، وعينه الرئيس محمود أحمدي نجاد.

وزارة الخارجية والأجهزة الخاصة بكم ــ تمثّل بمجموعها عملاً قيّماً ونفيساً، ومن المناسب أن أتقدّم بالشكر لكم ولكل العاملين في المجالات ذات الطبيعة الشاقّة.

كما أنّ وزارة الخارجية تدار حالياً ــ والحمد لله ــ من قِبَل رجل مؤمن ورع, مصمّم على تحقيق الأهداف والتوجّهات الإسلامية، ولاشكّ في أنّ هذه النوايا الصادقة التي يحملها ستعمّ سائر مفاصل الوزارة، وهذه نعمة أخرى حريّ بنا أن نشكر الله عليها.

العمل الدبلوماسي أهميته وخطورته

هنالك أمر يتعلّق بأهمية الدبلوماسية، وأنتم تعرفون المزيد في هذا المضمار؛ لمباشرتكم العمل بأنفسكم, ولِما تلمسونه من آثار للعمل الدبلوماسي على شؤون البلاد، بَيْدَ أنّ ما أريد قوله يمثل في واقع الأمر حديثاً مقتضباً، ولقد صرحت غير مرّة: بأن السياسة الخارجية والجهاز القائم عليها يشكّل نصف النظام السياسي للبلاد؛ فنصف يتابع الشؤون الداخلية، والنصف الآخر يتولّى تدبير أمر علاقات البلد ومصالحه في دول العالم؛ وهذا هو الدور الذي تضطلع به السياسة الخارجية، وكلّما تطوّرت العلاقات الدولية, وازداد التقارب بين دول العالم تضاعفت أهمية هذا الدور.

إنّ الكثير من المشاكل التي تعترض دول العالم إنّما تحلّ عن طريق السياسة المقترنة بالإبداع والاقتدار؛ والدبلوماسية بمثابة آلة الاقتدار بالنسبة للنظام السياسي، وإنّ الجهاز الذي يتولّى شؤون السياسة الخارجية بإمكانه ضمان اقتدار النظام السياسي أكثر من سائر الأجهزة المكلّفة بالمحافظة على الأمن القومي؛ فما أكثر الحروب التي كادت تندلع لولا الاقتدار الدبلوماسي، وما أكثر المؤامرات والهجمات التي حيكت غير أنها وُئدت من مهدها بسبب الاقتدار؛ الدبلوماسي، وكم مؤامرة نسجت خيوطها لتضليل الرأي العام العالمي ــ لاسيما وإنّ ذلك يلعب دوراً فاعلاً بوقتنا الراهن في تقرير مصير الأنظمة السياسية في العالم ــ استطاعت الأجهزة الدبلوماسية إحباطها والحيلولة دون بروزها وتحققها على أرض الواقع, والحد من تفاعلاتها؛ وذلك نتيجة لِما تحلّت به هذه الأجهزة من حنكة سياسية؛ فحينما تشنّ حرب ضد أحد البلدان تبدأ مهمة القوات المسلحة، بَيْدَ أنّ هنالك العديد من الخطوات التي تسبق تدخّل القوات المسلحة؛ والجهاز الذي بإمكانه الحيلولة دون اندلاع الحرب وضمان مصالح البلاد وإيصال رسالتها إلى العالم وإقامة

علاقات تسودها الصداقة والثقة المتبادلة، هو الجهاز الدبلوماسي الذي هو بمثابة اليد الطولى لمعالجة مشاكل البلاد.

ولا يصحّ منّا القول: أنّ وزارة الخارجية تناظر في عملها الوزارات الأخرى المتصدّية للشؤون التخصصية والمهمة داخل البلاد، فمع ما لكلٍّ منها أهميته.

كلا، فهذا النصف يقابل النصف الآخر؛ فالنصف منها السياسة الخارجية والأمن الخارجي، ويقابله النصف الآخر وهو الأمن والاقتدار الداخلي؛ فالجهاز الدبلوماسي للبلاد له مثل هذا الدور ويتبوّأ مثل هذا الموقع.

لو استثمرت المهارة السياسية؛ لتسنّى تبديل الكثير من المخاطر إلى فرص، لا أنّ المخاطر تنجلي وحسب، وإنما تنعطف الحالة التي تشكّل بؤرة رئيسية للتهديد انعطافاً معاكساً تماماً فتتحوّل إلى فرصة، وسوف أسوق فيما بعد مثالاً شاخصاً لذلك خلال البحث.

إنّ العمل الدبلوماسي من شأن النظام بأجمعه، ولا يقتصر أمره على وزارة الخارجية، بل يتصدّى له كبار مسؤولي البلاد، غير أنّ وزارة الخارجية تعتبر الجهاز المختص بالدبلوماسية ومصنعها ومركزها الرئيس، وعليها تقع مسؤولية التخطيط والتحقيق والدراسات ووضع المناهج وتطبيقها على أرض الواقع في شتّى المجالات.

من هنا فإن وزارة الخارجية تحظى بأهمية قصوى؛ ولقد كنتُ ومازلتُ أؤكّد على ضرورة أن تتمتع العناصر المؤثّرة والمهمة في وزارة الخارجية بأعلى درجات الوفاء لمبادئ النظام السياسي وتوجّهاته، وأن تحتضن الوزارة أكثر الناس وفاءً وصدقاً وأنضجهم فكراً واندفاعاً؛ وذلك لأهمية هذا العمل, ففي بعض دوائر الدولة نستعين بأناس لا شأن لنا بدوافعهم، فقد تكون لهم دوافع أخري، غير أنّ عملهم يصبّ في صالحنا؛ وهذا ما نبتغيه، لكن بعض دوائر الدولة لا تتحمّل مثل ذلك، ومن بينها وزارة الخارجية؛ فللدافع هنا دوره، فحتى ذلك الخبير الذي يتصدّى للتحقيق والبحث والتخطيط وتقديم الاقتراحات لابدّ أن يكون من أكثر الناس إيماناً وإخلاصاً ووفاءً لتوجّهات ومبادئ النظام السياسي في البلاد؛ وهذا هو الداعي الذي يقف وراء مشاعر المودّة التي نحملها تجاهكم.

شعار «العزة، الحكمة، المصلحة»

الموضوع الآخر الذي أروم عرضه ــ وقد أشار إليه الدكتور خرازي ــ هو شعار «العزة، الحكمة، المصلحة» فهو شعار غني في مغزاه؛ فالعزة التي تعتبر أول مفرداته ليست شيئاً ملموساً يستخدمه الإنسان في ملبسه أو مأكله أو ينتفع به في حياته الخاصة، بل هي قاعدة لكل ما يحققه المجتمع من إنجازات ومكاسب؛ وإذا ما افتقد المجتمع عزّته افتقد كل شيء، ولو أنّ علمه بلغ الذرى، فإن استطاع هذا العلم تحقيق العزة لــه فبهــا ونِعمت، ولكن ربما يقصر هذا العلم عن البلوغ به مبلغ العزة كما نلمسه في بعض بلدان العالم ــ ولست هنا بصدد إيراد مثال, فبوسعكم العثور عليه بســهولة ــ ذات التقــدم العلمي والتقني وما شابه ذلك, وبلغت مستوى عالياً من التكنولوجيا وتصدّر المنتجــات الصناعية للدول الكبرى في العالم، بَيْدَ أنها تفتقد العزة، ومثل هــذه الــدول تتقاذفهــا المشاكل في شتّى الأبعاد؛ فالأمة التي تعجز عن نيل عزّتها التي تمثّل ركيزة مفاخرهــا ومكتسباتها ووجودها ستضيّع كل شيء ــ والعزة ليست ألفاظاً ترددها الألسن ولا تنال بالتمنّي، وهي بحاجة إلى ما يعززها ــ وحتى العلم الذي يُعد وسيلة التقدّم لن يكون ذا جدوى بالنسبة لها.

إننا في إيران الإسلام نمتلك كل دواعي العزة ومصادرها وعنفوانها على الصعيدين الداخلي والدولي، بالرغم من تخلّفنا الفاحش عن قافلة العلم, وما تميّزت به سياستنا ــ إلى ما قبل انتصار الثورة ــ من انفعالية وتبعية للسياسة العالمية، ســواء فــي مطلــع العصر القاجاري, حيث جاء الأجانب إلى بلادنا لغرض ممارسة نفوذهم فيه ــ وقــد سبقوا مجيئهم بالتردد على بلادنا, ولمّا دخلوه أفلحوا في التأثير عليه ــ أو أواخر ذلــك العصر، فأنتم تعلمون ما تجرّعته إيران من محنٍ وشدائد؛ بسبب السياسات الخارجيــة للروس والإنجليز اللذين كانا قوّتين رئيسيتين، أو حتى للدول الصغيرة، أو فــي العهــد البهلوي حيث تعرّضت عزّة الشعب الإيراني إلى شكل آخر هو الأشد والأقســى مــن الإذلال والاحتقار.

لقد كانت زياراتهم تلك التي انطلقت منذ ما يقرب من قرن ونصف مُهينــة للغايــة، وكان للانفعال الذي هيمن على ممارسات الدوائر الحكومية أثره السيّئ؛ ومن المسلّم به أنّ لذلك الماضي آثاره السلبية على وضعنا الراهن، وإنّ الثورة بما رفعته من شعارات ثورية, وما تبنتّه من أصول, وما أفرزته تلك الأصول من استقلال وطنــي وصــمود، وكذا رمز هذا الاستقلال المتمثل في شخص الإمام (رض) ــ النموذج الكامــل للعــزة والثقة بالنفس والإيمان بالقول والنهج ــ والتجارب التي خاضتها الثورة علــى مــدى

عقدين من الزمن, وأحدها تجربة الحرب, وما تلتها من تجارب حتى يومنا هذا؛ كل ذلك استطاع أن يعيد بعض المياه إلى مجاريها.

إننا اليوم نتمتع على الصعيد الدولي بعزّة لا نصيب للدول التي تضاهينا بشيء منها في كثير من الأبعاد؛ فلا تجعلوا قول تلك الصحيفة أو وكالة الأنباء أو المحطة التلفزيونية معياراً؛ فمتى ما لمستم اشتداداً في ضراوة الهجوم الذي تشنّه الصحف ووسائل الإعلام وإثارة الأجواء وما شابه ذلك ضد النظام السياسي للبلاد وضد الشعب وحكومته، ينبغي حينذاك القول بأن هنالك مكمن قوة وحصن منيع أجبرهم على تشديد حملاتهم؛ فليس دليلاً على فقداننا للعزة أنه يحضر أستاذ جامعي أمدّته الصهيونية بالأموال مؤتمراً صحفياً في مكان ما من العالم ويتطاول فيه على الجمهورية الإسلامية، وتتم تغطيته خبرياً وبثّه إلى كافة أنحاء العالم، فليس ذلك من الأهمية بحيث نجعله ملاكاً ومصداقاً.

مبدأ حاكمية الشعب في ظل الدين

إنّ الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية في إيران يتمتعان بكل مقوّمات العزة؛ فلدينا مبدأ حكومي رصين، ولنا ما ندلي به في الحكم، ولنا فكرنا، ولنا مشروعنا وهو المشروع الإسلامي ــ وهذا ليس مسطوراً في الكتب وحسب، بل متحقق في الواقع الخارجي ويشهده الجميع ــ فما هو ذلك المشروع؟ إنه حاكمية الشعب في ظل الدين، ولا أريد هنا أن أستخدم عبارة الديمقراطية؛ وذلك لإصراري على انتقاء المفردات التي تفيد معناها بالكامل، وللديمقراطية مفهومها ومفادها الخاص الذي تؤتيه في إطار الدائرة التي أطلقت فيها، وقد لا نتقبّل بعض ما يترشّح عنها؛ فما الداعي لاستخدام المفردات الدخيلة التي لا نستطيع ضمان الحصول على كامل معناها؟

إنني أتحدثّ بما لدينا, وهو حكم الشعب.

فماذا يعني حكم الشعب؟ يعني انبثاق النظام السياسي برمّته عن الشعب، ولكن هل هو منبثق عن انتخاب الشعب فقط والذي قد يخضع لعملية البيع والشراء والمتاجرة كما تشاهدونه على المستوى الدولي؟ فإنكم تشاهدون الدور المصيري للأحزاب في أكثر

البلدان ديمقراطية ــ وقد رفعت ذلك علماً تتبجّح به ــ هذه الأحزاب التي يبــرز فيهــا دور أصحاب الأموال والرساميل الطائلة.

أليس الأمر كذلك؟ مَن ذا الذي لا يفهم أنّ الانتخابات التي تجري في الدول الغربيــة وفي طليعتها أمريكا لا تعني بأيّ حال من الأحوال أنّ الناس ينتخبون في ضــوء مــا يعرفون وما يدركون؟ وهذا عين ما يصرّح به المنتقدون الأمريكيون ويسطرونه فــي كتبهم وتقاريرهم ومقالاتهم، ونحن نطالعه أيضاً؛ فالانتخاب رغم كونه أحد الأدلّة علــى حاكمية الشعب، بَيْدَ أنّ معنى حاكمية الشعب هو انبثاق النظام السياسي والقائمين عليــه من صميم الشعب، وهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة؛ فمتى ما تضــافرت إرادة الشــعب وعواطفه وإيمانه وحبّه وشعوره بالمصلحة في إقامة النظام السياســي، إذ ذاك تتحقــق حاكمية الشعب بحقيقتها، وهذا ما نتمتع به في إيران المعاصرة.

فيا أيها الأعزاء، لا تستهينوا بهذه العلاقات المفعمة بالحب والمودّة التي تشدّ الشعب لمسؤولي البلاد، فهي ليست بالأمر الهيِّن، بل لها بالغ الأهمية، وإنكم لا تجــدون لهــا نظيراً في أية بقعة من الأرض.

لعلّ بعض الدول استطاعت صياغة رموز وطنية، وكثيراً ما كانت في السابق، غير أنها انحسرت بشدّة في الوقت الحاضر؛ فعلى سبيل المثال أقاموا الملكية وربطوا الناس بها عن طريق علاقات مقدسة, وشدّوا عواطف الشعوب ومشــاعرها نحــو الملكيــة؛ للإيحاء بأنها تمثل رمزاً وطنياً, ولكن لا يمكن مقارنتها بما هو قائم في إيران حالياً؛ إذ كانت علاقة إمامنا العظيم بالأمة نموذجاً بارزاً للعلاقة الحميمــة التــي تشــدّ الشــعب بمسؤوليه، ولقد شهدتم ما فعله الشعب مع الإمام، فأنّى لكم أن تجدوا مثل ذلك؟ ولو وجد لكان نادراً وعابراً، وقليل هم القادة الذين استطاعوا تخطّي مرحلة الانتخاب ونفذوا إلى عواطف الأمم وقلوبها، وبالإضافة إلى ندرة هذه الحالات فهي عــابرة وليســت بتلــك الشمولية والسعة والديمومة؛ وهذه هي حاكمية الشعب في ظل الدين؛ فالعامل الديني هو السر في ديمومتها ونجاحها، وذلك لمساسها بإيمان الأمة.

وهذه إحدى مقوّمات العزّة.

من الأهمية بمكان لكل بلد الاعتماد على آراء الشعب وعواطفه ومشاعره وإرادتــه؛ فبالرغم من تنوّع القوميات في بلادنا فإن شعبنا يتميّز بالانسجام، وفي الفترة الأخيــرة قمنا أنا ورئيس الجمهورية بزيارتين لمنطقتين تقطنهما قوميتان مختلفتان، فلاحظوا مــا

صنعه أبناء هاتين القوميتين مع مسؤولي النظام, وكيف عبّروا عن مشاعرهم وعواطفهم، فالانسجام مهم للغاية وليس بالأمر الهيّن، وهذا الانسجام الوطني لم يكن مشهوداً من قبل؛ فلم يكن لتلك القوميات صوت يُسمع؛ نتيجة الرعب والضغوط التي تمارس بحقّها، ولقد كنتُ منفياً في منطقة تقطنها إحدى القوميات, وعشتُ هناك فترة طويلة, وشاهدت طريقة تعامل الحكم مع أبناء الشعب هناك؛ وتغلغلت إلى أعماق الناس فاطلعت على طبيعة علاقتهم بذلك النظام, الذي كانوا قد التزموا الصمت إزاءه؛ إنها تختلف عمّا عليه اليوم؛ فالعلاقة السائدة اليوم هي علاقة المودّة والحب والثقة إلى غير ذلك.

استقلال الشعوب بقوة إيمانها

إنّ شعبنا يتميّز بإيمانه، والإيمان عامل في غاية الأهمية؛ لأنه عنصر ذاتي يرسم منحى التحرّك ووجهته.

ولو افترضنا أنّ أمة افتقدت الإيمان؛ إذ ذاك سيتعسّر توجيه مسيرتها، إذ لابدّ من توفير المصالح المادية لأبنائها فرداً فرداً، وإلا ما اجتمعوا ولا اصطفّوا خلف النظام، ولكن حيثما وجد الإيمان فهو يحقق كل هذه الأمور.

إنّ بلدنا بلد كبير؛ لِما يضمّه من ثروات إنسانية وطبيعية، وينفرد بموقعه الجغرافي الحسّاس؛ لوقوعه على مفترق أربعة طرق، ونمتلك حضارة وثقافة غنية وتليدة، سواء كانت من الحضارة الإسلامية أو تلك التي سبقت الإسلام ــ وإن قلّت ــ، فلقد حقق شعبنا في العهد الإسلامي أعظم الإنجازات للحضارة الإسلامية، ولشعبنا تاريخ حافل على صعيد العلوم الإسلامية، فهو شعب بصير متحضّر أصيل، ولهذه الأبعاد أهميتها البالغة.

لقد عرفت الدنيا بأسرها استقلالية مواقفنا، فلسنا تبعاً لأيّة قوة في العالم؛ فلاحظوا نظامنا وحكومتنا؛ في أي من مواقفهما السياسية وخطواتهما استلما الإشارة من قوة ما وعملا في ضوئها التزاماً بالعمل ووفقها؟ مثلما تشاهدون في سائر البلدان ــ حتى الأوربية منها، وإن لم تكن هنالك قدرة سلطوية تفرض عليها بالقوة بشكل واضح كما يحصل لبعض الدول الصغيرة، بَيْدَ أنّ عصابات السلطة تمسك بكل شيء هناك والكلمة فيها للّوبي الصهيوني والأثرياء الصهاينة ــ فهل تتصوّرون أنّ ما تشاهدونه من مواقف تصدر عن هذا الرئيس أو ذاك حيال قضية حفنة من اليهود إنما هي تمثّل مواقف ذلك

الرئيس أو حكومته؟ كلا, فالأمر ليس كذلك، بل هي التأثيرات الناجمة عن نشاط حفنة من أثرياء الصهاينة, وتلقيناتهم حيث يملون عليه أن نفّذ هذا الإيعاز, وقم بذاك العمل.

ونحن نلمس ذلك دائماً أثناء لقاءاتنا مع بعضهم ــ ولو أنهم قليلاً ما يبوحون بشيء ممّا لديهم أمامي لافتقارهم الجرأة ــ غير أنهم يصرّحون به أمام بعض مسؤولي البلاد، ونحن نحتفظ بتقاريره؛ فغالباً ما يعلنون ــ أداءً للتكليف! ــ بأنهم فاتَحوا المسؤول الإيراني الفلاني حول القضية الفلانية، والحقيقة أنهم لا شأن لهم بها ولا يعيرونها أي اهتمام، لكنهم يتعرّضون للضغوط والتأثير.

متى اضطرت الحكومة الإيرانية أو رئيس الجمهورية أو وزير الخارجية لاتخاذ موقف سياسي معيّن في محفل عالمي, والتصريح بشيء أثناء أحد اللقاءات الدبلوماسية, أو الوقوع تحت إصرار أحد بناءً على توجيه من قوة كبرى؟ لن يقع مثل هذا أبداً، ولا تتصوّروا أنّ الشعب لا علم له بذلك؛ وأعني بالشعب السياسيين منهم، والأجهزة الحكومية والمراكز ذات التأثير، والأمر جلي أمامهم والكل يشاهدون أنّ هذا البلد برئيسه ووزرائه وسفرائه يرفض الخضوع لِما يُملى عليه، كالقرارات التي تصدر لممارسة الضغوط على بلدٍ ما بخصوص قضية معيّنة، وبالطبع متى ما شخّصنا المصلحة وضرورتها نتخذ القرار في ضوئها وإلاّ فلا، فإننا نأخذ مصالحنا في الحسبان ولا نرتضي أن يُملي علينا أحد، وهذه الاستقلالية في المواقف مهمة جداً.

إنّ هذا الإيمان الذي ألقى بالسلطويين والناهبين والمعتدين خلف الحدود لما يقرب من ربع قرن لَهُو مهمّ؛ فمتى تخلّصت إيران من تواجد القوى الكبرى على مدى القرنين الماضيين؟ فهؤلاء الذين لم يكن لديهم الاستعداد للتخلّي عن إيران؛ وذلك للأوهام التي تراودهم بملكيتهم لها، فجاؤوا برؤوس أموالهم لاستثمارها هنا؛ لا يمكن أن يهدأ لهم بال ماداموا عاجزين عن ممارسة نفوذهم فيها؛ فما الذي أبقاهم خلف الحدود؟ إنه الإيمان الراسخ الذي يُلقي بظلاله على النظام بأسره.

ولقد قلت للسيد خرازي: إنّ الإيمان متوفّر لدى الكثير من الشعوب, غير أنه ليس مكرّساً لخدمة النظام السياسي, ولا يرتكز عليه النظام السياسي، أمّا عندنا فإن النظام السياسي يرتكز على إيمان الشعب، وهذا هو سر العزّة في الإسلام؛ وإنكم تنتسبون لمثل هذا البلد الذي يتميّز بكافة مقوّمات العزّة والفخر، إنكم سفراء هذا البلد الذي يتمتع بكل هذه الإمكانيات.

إنني أعتقد لو أننا بادرنا إلى عملية تخطيط ــ ولابد من إعداد مقوّمات هذا التخطيط ومستلزماته من قِبَل وزارة الخارجية ــ لتسنّى لنا تبديل إيران الإسلامية إلى قوة حقيقية على المستوى الإقليمي, ومن ثم على المستوى الدولي تدريجياً، فالأرضية التي لم تكن متوفّرة في بلادنا قبل انتصار الثورة قد توفّرت حالياً، ولا يقتصر ذلك على السياسة الخارجية، بل لابدّ أن يتّسق على الصعيد الداخلي أيضاً مع النشاط العلمي والفني والعملي والإداري؛ لتجد الكثير من المشاكل طريقها إلى الحل.

لعلّكم قرأتم ما كتبَته بعض المطبوعات في تنويهها إلى القوى الإقليمية في العالم، فإنهم يعدّون إيران قوة إقليمية في هذه المنطقة التي تشاركنا فيها بلدان مثل تركيا التي تناظرنا بعدد السكان والمساحة وتمتاز بقربها من أوربا، وكذلك باكستان، بَيْدَ أنّ أيّاً منهما لا يعدّ من القوى الإقليمية في نظر المحللين الذين كتبوا بهذا الشأن؛ فما الذي دعا لأن تُعد إيران قوة إقليمية ــ وهو الحق ــ؟ إنها عناصر العزّة والاقتدار التي يتميّز بها نظامنا، وكثير منها متوفّر بالفعل، ويتعيّن علينا استثمارها، وبعضها متوفّر بالقوة وعلينا اكتشافها والانتفاع بها.

التوجه العام لسياستنا الخارجية

الموضوع الثالث ــ الذي أودّ عرضه ــ هو: ما المنحى الذي يتعيّن أن تنحوه سياستنا الخارجية؟ وهذا سؤال من الأهمية بمكان، ويستبطن رؤية عامة، وإنكم تتدارسونه وتتداولونه في مجالسكم التي تعقد في وزارة الخارجية.

والذي أريد قوله هو ضرورة إثارة هذا التساؤل: ما هو التوجّه العام للسياسة الخارجية في نظام الجمهورية الإسلامية؟ فلابدّ أن نحدّد الجهة التي نواجه منها التهديد، فذلك يعد من العناصر المهمة لتحديد اتجاه سياستنا الخارجية؛ ليتسنّى لنا مواجهة ذلك التهديد.

إنني أراقب عن كثب أوضاع بلدنا والعالم, وما يمارس ضدّنا على الصعيد السياسي من قِبَل وسائل الإعلام والتصريحات التي تنطلق ضدّنا، وأرى أنّ أهمّ تحدٍّ نواجهه الآن هو: أننا أردنا التصدّي للنماذج المفروضة في مختلف الأصعدة وعدم الاستسلام لها؛ فلقد جئنا بنظام فكري وسياسي واجتماعي جعلنا منه مرتكزاً لجميع مؤسساتنا ورفضنا غيره، ولا أدّعي عدم قبولنا لأيّ نموذج دخيل، بل إننا تقبّلنا بعض النماذج لِما وجدنا

فيها من محاسن، فيما تقبّلنا بعضها لعدم قدرتنا على التخلّص منها ــ أي أنها فرضت علينا ــ ولابدّ أن نضع النوع الأخير في برنامجنا ونعمل على فرزه واستئصاله.

وفي نفس الوقت هنالك بعض النماذج التي تتحكّم بأجهزتنا ومؤسساتنا شئنا أم أبينا، ومن أبرز المصاديق التي رفضناها هي النماذج العالمية المفروضة ــ وبالذات الغربية ــ فيما يتعلّق بالنظام السياسي، وطبيعة العلاقات الدبلوماسية، وطريقة التعامل مع الأحداث العالمية التي تتضمّن مجموعة من الثوابت الجوهرية، منها: مسألة إسرائيل، ومسألة الشعوب وبعض حركات التحرير، وقضية أمريكا على وجه التحديد.

لقد كانت الدول الحليفة للغرب نفسها تتعامل مع الاتحاد السوفيتي قبل انهياره بما يناسب أوضاعها، لكننا لم نفعل؛ فلقد عبّر نظام الجمهورية الإسلامية عن استقلاليته وصموده، لِما كان يتميّز به من مواجهة للطروحات التي يراد فرضها عن طريق الضغوط والتسلّط والإرهاب والاستفزاز؛ ولم يزل نظامنا السياسي محتفظاً بخصائصه تلك في جوهره وطبيعته، وكذلك على صعيد ثقافتنا العامة وطبيعة رؤيتنا للأمور، والقطبية العالمية؛ فلقد رفضنا نظام القطبية الثنائية الذي كان سائداً؛ أي إننا عملنا وفقاً لمبدأ «لا شرقية لا غربية»، وكنّا ننفرد بمواقفنا أثناء المؤتمرات العالمية، حيث ينحاز نصف الحاضرين إلى الغرب والنصف الآخر إلى الشرق، حتى إنّ رئيس مؤتمر عدم الانحياز الذي شاركتُ فيه قال لي: لا أرى في هذا الحشد دولة غير منحازة سواكم، والباقون إما يميلون يميناً أو يساراً!

هناك حيث الانحياز إمّا لليمين وإمّا لليسار، وقفنا وعبّرنا عن مواقفنا وصدّعنا بمبدأ «لا شرقية لا غربية» بكل فخر، دون مواربة أو مجاملة لأحد؛ أي إننا رفضنا القطبية الثنائية بشكل عملي، وهذا من الأهمية بمكان.

واليوم تلهث بعض دول العالم بشكل جدّي وراء عالم أحادي القطبية بزعامة أمريكا.

رفض نظام الأحادي القطب

إنّ أمريكا في الحقيقة لا تتمتّع بالصلاحية أخلاقياً وسياسياً وفكرياً لقيادة العالم، وهذا ما يعرفه الكثير من الأمريكيين وشعوب العالم ويعترف به الكثير من أرباب السياسة؛ فما الذي تريد أن تقدّمه أمريكا للعالم؟ إنها تريد قيادة العالم من خلال تفوّقها الصناعي,

وتقنيتها المعقّدة وتطوّرها العلمي, وما تمتلكه من ثروات, وما يستتبع ذلك من قوة عسكرية ودبلوماسية، وهذا ما نرفضه أيضاً.

وقد صرّح مسؤولونا مراراً وتكراراً بأننا نرفض النظام الأحادي القطبية، وأثبتنا هذا الرفض عملياً؛ فلا وجود لأية نقطة التقاء تجمعنا بشكل عملي مع أمريكا في أية قضية من القضايا العالمية، ولا نتعاطى معها إطلاقاً، ممّا يُعد دليلاً على حالة الافتراق التام، وهو ما تشهده الدنيا.

هذه هي استقلاليتنا على صعيد القطبية الدولية.

أمّا فيما يتعلّق بقضية الشرق الأوسط المهمة ــ حيث تُعد القضية الفلسطينية منذ ثلاثين أو أربعين عاماً في طليعة القضايا العالمية ــ فقد انفردنا بكلمتنا واستقلالنا، ولم يكن لدينا استعداد لقبول النماذج التي يمليها الآخرون.

وسبق أن رفعت دول الجوار نفس الشعارات, غير أنها اضطرّت فيما بعد للاستسلام لتلك المشاريع التي أمليت عليها تحت وطأة المشاكل التي كانت تعانيها بالفعل مع بعض الاختلاف.

وإنكم تلاحظون أنّ هذا الإنعطاف, وهذا التوجّه لم يعالج أيّة مشكلة من مشاكلهم, كما أنه لم يعالج أيّاً من مشاكل الفلسطينيين؛ فلم يؤدّ هذا التوجّه المُهين والخنوع المذل أمام ضغوط الأمريكان والصهاينة إلى معالجة أيّ من مشاكلهم، وهذا بحث ليس محلّه الآن.

إنني أقول لكم: إنكم تواجهون قوة ــ هي أمريكا ــ كلّما قدّمتم لها تنازلاً فهنالك تنازل يتبعه عليكم أن تقدّموه لها، وإلا فإن هذا الضجيج والتطبيل سيبقى على حاله, ولن ينتهي بتنازلكم.

عدم جدوائية المباحثات مع أمريكا

إنّ البعض يجلس ويفكّر بالخسائر التي نتحمّلها؛ لعدم دخولنا في مباحثات مع أمريكا، أو بسبب عدم إقامة علاقات معها! وإنني أسأل هؤلاء السادة ــ حسناً، باعتباركم دبلوماسيين وسياسيين، ولابد أن تفكّروا بهذه المسألة ــ: ما هو الإمتياز الذي إن قدّمتموه لأمريكا فسوف تحلّ هذه المشاكل؟ وهل تعالج هذه المشاكل بالمفاوضات والجلوس معها على طاولة المباحثات؟! والمشاكل التي يفترض أن أمريكا تثيرها قابلة

للكثير من الطعن والمناقشة أيضاً, أو أنه عندما يجلس الأمريكان على طاولة المباحثات فإنهم ينقّبون عن سبيل لفرض آرائهم ــ حيث باتوا عاجزين اليوم عن فرضها ــ عليكم متوسّلين بمنطق القوة .

فإذا كان لدى الأمريكان ما يريدون قوله لنا اليوم فإنهم يلجأون إلى مخطط يخلو من الاسم والعنوان والتوقيع, ويبعثون به على بعد عن طريق القائم على المصالح الأمريكية فيوصله إلى أحد ما، وهو يرد عليهم بنفس اللحن، وكأن لم يحدث شيء.

إنّ غايتهم من الجلوس معكم على طاولة المفاوضات, وتبادل النظرات والشعور بالتقارب, هي التغلّب عليكم, والتعامل معكم من موقع الكبرياء، وهذا ما يصرّحون به؛ ولقد سبق منّي التصريح بذلك قبل سنتين أو ثلاث، حيث قلت: إنّ هدفهم من المباحثات هو الحصول على فرصة لإملاء ما يريدون، وإذا كانوا لم يصرّحوا بذلك سابقاً فإنهم أخذوا يصرّحون به الآن؛ فقد أكّد المسؤولون الأمريكان على ضرورة تجاوز مشكلة المباحثات لإقناع الإيرانيين بقبول كلامهم، فإذا كانت المباحثات لا تحل مشكلة فكيف بالعلاقات؟

وبعد أن تكونوا قد دخلتم المباحثات وأزيلت الحواجز وتحطّمت تلك الشخصية الأبيّة، إذ ذاك يأتي الدور إليكم لتطلبوا إقامة العلاقات, فيردّون عليكم بالرفض, مدّعين عدم استعداد الرأي العام عندهم لتقبّل إقامة العلاقات معكم, إلاّ أن تقوموا بالعمل الفلاني أو تغيّروا المسؤول الفلاني، فأية مشكلة ستحلّها العلاقات مع أمريكا؟! وعلى فرض وجود مشاكل ناجمة عن قطع العلاقة ــ وطبعاً هذا واضح ــ فبديهي أنّ أي توسيع في العلاقات يستتبعه انفراج في مجالات الحياة بالنسبة للإنسان، ولكن لابدّ من معرفة الضريبة التي تدفع لذلك؛ والدبلوماسي المحنّك القدير المتّزن هو الذي يفكر ملياً بالضريبة التي يتحتّم عليه دفعها إزاء ما سيحصل عليه من انفتاح ومدى ذلك الانفتاح، وهو ما قمنا به واستقرأنا نتائجه؛ فإذا ما رفضنا إقامة العلاقات والتباحث مع أمريكا، فمن السذاجة أن يتصوّر أحد أنّ هذا الرفض متأتٍّ عن غير وعي؛ فليس الأمر كذلك، إذ إنّ الأمر مدروس وموزون وجرى التحقيق بكل أبعاده؛ وهذا ما توصّلنا إليه.

الثبات بوجه القطبية العالمية الجديدة

وعليه فإن ما أريد قوله, هو: أنّ هذا الثبات والصمود بوجه القطبية العالمية الجديدة ــ كما هو شأن صمودنا بوجه القطبية السابقة ــ ربما يثير المصاعب لنا، غير أنه يمثّل

أحد أسس النظام ومحاوره ومسألة من المسائل الجوهرية, وتحدّياً وقضية من القضـــايا تثير حساسية الأعداء ضد النظام الإسلامي.

لقد تميّزنا بالاستقلال فيما نرتئيه حول القضية الفلسطينية، والحركات الإسلامية فـــي العالم، وما كنّا نبديه حول لبنان لم يلقَ قبولاً كاملاً من لدن أحد في العالم، لكننا تمسّكنا به، وها أنتم اليوم تشاهدون كيف ذاع صيته عالمياً.

إنّ الانتصار الذي حقّقه حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان حـــدث عظـــيم, لا ينبغي الاستهانة به؛ وهنالك محاولات تجري للتقليل من أهمّيته على المستوى العالمي، وحيثما تمعّن المرء في هذه الواقعة فإنه يدرك عظمتها من مختلف الأبعاد، فأنى لدولـــة جائرة سلطوية وقحة لا عهد لها بالتنازل كإسرائيل التي لم ترضخ حتى الآن لِما يمارس قبالها من ضغوط دولية، أن تنسحب من جنوب لبنان الذي احتلته لتبقى فيـــه؟! فطالمـــا كرروا القول: بأنهم لا ينوون مغادرة المنطقة، وهو ما تستدعيه سياستهم ومخططاتهم, ويحكم به الوضع الجغرافي والإقليمي للمنطقة، فلابدّ من ضمّ جنـــوب لبنـــان ونهـــر الليطاني وسائر الثروات لـــ«إسرائيل الكبرى».

إنهم لم يأتوا للمنطقة كي يتركوها، فكيف انسحبوا منها؟! وأي قوة عظيمة هذه التـــي أجبرت هذا العدو اللدود على الاقتناع بعدم القدرة على البقاء؟! هذه القوة التي تحلّـــت بالثبات والمقاومة وعدم الكلل، والإقدام على الشهادة وتحمّل المشاق، وكالَت الضربات الموجعة للعدو؛ حتى أذعن للانسحاب لشعوره بتعرّض مصالحه للفنـــاء، وللصـــعوبات التي يواجهها في تلك المنطقة وفي الداخل، فليس هنالك من يذعن للهزيمة طائعاً راغباً، إلاّ أنه يستسلم تحت وطأة الإجبار.

إذاً ما الذي أجبر هذا العدو على الإذعان؟ إنها الصحوة الإسلامية, وما أطلقته إيران الإسلامية منذ اليوم الأول.. إنه كلام الإمام ورؤيته التي سار عليها النظام, وقد تحقـــق كل ذلك، وإنها حالة الرفض لدينا لكل النماذج المطروحة التي تمثّل مصداقاً بارزاً لثبات نظام الجمهورية الإسلامية واستقلاليته، وهنالك الكثير من هذا القبيـــل ــ ولا أنـــوي الاستمرار في طرح القضايا الإقليمية والدولية ــ فهذا الصمود بوجه النماذج المفروضة هو التحدّي الجوهري، وهذا ما استلهمناه من الإسلام الحنيف؛ أي أنّ الإسلام هذا الذي يأمرنا بالصمود.

لقد استلهمنا من الإسلام طريقة إدارة المجتمع والحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي، ونريد أن نعمل وفق ما نؤمن وندين به، ولقد تقدّمنا شيئاً ما، رغم النـــواقص الكثيـــرة، وإننا نمتلك النموذج الكامل في الإسلام، ومن الواضح لنا ما ينبغي علينا عمله؛ فإذا مـــا قمنا بتربية أنفسنا ــ إنشاء الله ــ وبذلنا مزيداً من الهمّة وازداد توكّلنا على الله, وبـــذلنا المزيد من الجهود في طريق العلم والعمل, وتخلّصنا من الكسل، فحينئذٍ سنصل إلى حدٍّ ما من المستوى المطلوب؛ أي تكون لدينا القدرة على تحقيق حالة إسلامية كاملة تتناسب مع ما يعيشه العالم المعاصر على أقل تقدير؛ ولقد حققنا قدراً من التقدّم, ولا نزعم أننـــا حقّقنا أكثر من ذلك.

إننا رفضنا الطروحات المفروضة، وبطبيعة الحال فإن لهذا الفرض تاريخـــه، وقـــد دوّنت ذلك، غير أنّ الدخول في تفاصيله هنا يستغرق مزيداً من الوقت.

مخاوف الاستعمار من الإسلام

عندما باشر الغربيون في استعمار الآخرين، سواء في آسيا أو أفريقيـــا أو أمريكـــا الجنوبية ــ كما تعلمون ــ فقد لجأوا بادئ الأمر إلى السيف والسوط والاستعباد ونهب الثروات وعمليات الإبادة والقتل وما شابه ذلك، لكنهم أدركوا بعد حين أنّ ذلك يكلفّهـــم الكثير، فإذا ما أرادوا الاستمرار وضمان مصالحهم فعليهم سلوك طريق أقـــرب منـــه, وهو تصدير نماذجهم الثقافية والفكرية ــ وتشمل أيضاً النماذج السياسية ــ وفرضـــها على سائر البلدان.. فإذا ما أرادوا السيطرة على بلدٍ ما بحيث يجعلون شعبه يفكّر بمـــا يفكّرون, ويرى صلاح ما يرونه صالحاً, وسوء ما يرونه سيئاً, ويفعل كل ما يريـــدون فلا داعي للتكاليف, ولا حاجة للسياط والحراب كوسيلة للحكم عليه وإخضاعه لمطالبهم، بل يكفي فرض الثقافة والغزو الثقافي.

وهكذا كانت بداية فرض النماذج بشتّى أصنافها ثقافياً وسياسياً؛ فأول ما فعلوه فـــي الهند هو إلغاء اللغة الفارسية التي كانت اللغة الرسمية في البلاد ويـــتكّلم بهـــا غالبيـــة الشعب الهندي وأدخلوا محلّها اللغة الإنجليزية، كما همّشوا اللغة الأوردية، ثم أتبعوا ذلك إدخال سائر متبنّياتهم بما فيها الديمقراطية التي ينادون بها, وطرق تعاملهم ومفـــاهيمهم التي فرضوها بما أوتوا من قوة، واستمروا على تلك الحالة في البلدان التي خضـــعت لاستعمارهم أو تلك التي أصبحت في دائرة نفوذهم.

وكانت المهمة تتلخّص في إملاء أطروحاتهم، وقد ذللت الصعاب بوجههم حتى استطاعوا ضخّ مفاهيمهم وترسيخها لدى الشعوب، سواء كانت مفاهيم سياسية أم حقوقية أم ثقافية، مما جعلهم يعيشون حياة وادعة، حتى إذا بلغ ظلمهم وجورهم ذروته هبّت الشعوب للثورة عليهم كما حصل في الجزائر.

إنّ الجمهورية الإسلامية الآن تتصدّى لهذا الإملاء على الأصعدة كافة، سياسياً وحقوقياً وثقافياً، وهذا الصمود النابع من الإسلام، يمثّل مسألة جوهرية بالنسبة لها, وإن كان يشكّل مصدر الخطر الذي يتهددها.

إنهم لا يعارضون الإسلام كدين أو طقوس فردية؛ ذكر الإمام نقلاً عن ذلك البريطاني: أنه لَمّا احتلّ البريطانيون العراق ذعر أحدهم عندما سمع صوت المؤذن ظّناً منه بحصول أمر ما، فتساءل: ما يقول هذا؟! فأجابوه: إنه يؤذن.

ثم سأل: وهل له مساس بسياسة بريطانيا؟ فقيل له: كلا.

قال: فليؤذن ما شاء! وسمعنا مؤخّراً أنّ أحد المسؤولين الأمريكيين صرّح بما يشاكل ذلك قائلاً: فليذكروا وليسجدوا ما شاؤوا, حتى وإن مُجلت جباههم وأيديهم، فلا شأن لنا بهم!

من الواضح أنّ ما يشغلهم هو ما أبقاهم خلف الحدود لمدّة إحدى وعشرين سنة؛ أي الإسلام السياسي، النظام السياسي للإسلام، الإيمان المكرّس لخدمة النظام السياسي، ذلك الفهم السياسي والاجتماعي للإسلام الذي تدعمه الآيات والروايات والنصوص الإسلامية.

إنهم يناهضون الحكومة الإسلامية؛ فالإسلام وحكومته هو الخطر الحقيقي الذي يداهمهم؛ وهذا من الحالات التي يمكن فيها تبديل التهديد إلى فرصة ثمينة، ولحسن الحظ أنكم قمتم بذلك إلى حدٍّ كبير وأنجزته وزارة الخارجية في فترات متوالية.

التمسّك بالإسلام معناه الصلاح والنجاة والفلاح

لقد كسبنا الكثير من المنافع من خلال الإسلام والطابع الديني لحكومتنا.

طبعاً لم نلتزم الإسلام طمعاً بالمنافع المتأتّية عنه؛ فالإسلام بالنسبة لنا يمثّل برنامجاً شاملاً للحياة، إنه إيماننا وفلاحنا <قد أفلح المؤمنون>[2]، والمؤمنون إنما يفلحون بالإسلام، والإنسان ــ أيها الأعزاء ــ ينشد الفلاح غير آبهٍ بحياة تستمر أياماً معدودات سرعان ما تنقضي بهذا النحو أو ذاك؛ فالأصل بالنسبة لي ولكم هو الفلاح الذي يمثّل أساس الحياة الأخروية <وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوان>[3].

فالإسلام بالنسبة لنا ضمان لخلودنا وعواقبنا, وفي نفس الوقت ضمان لعزّتنا واقتدارنا وسلامتنا وعلاقاتنا الاجتماعية السليمة ونظامنا الاقتصادي والمالي.

وإننا لم نتمسّك بالإسلام ليصوننا في مواجهة الدول الكبرى، بل اخترناه طريقاً للصلاح والنجاة والفلاح، وسبيل الفلاح هذا ــ وهو صراط الله ــ سيحفظنا في قبال أعدائنا أيضاً.

إنّ الإيمان الذي ينطوي عليه النظام الإسلامي يمثّل طوقاً يحفظ الأمن القومي ــ وسبق للدكتور خرازي أن تطرّق لمسألة الأمن القومي, مشيراً إلى أنه يمثل محور لقائكم هذا ــ نعم، لابدّ من اعتماد الأساليب العلمية والمعدات الالكترونية ووسائل الاتصالات الحديثة وغيرها لمواجهة الأخطار التي تهدد الأمن القومي.

ولاشكّ في تعذّر الصمود دون ذلك، بَيْدَ أنّ ما يمثل طوقاً حيال هذه الأساليب والوسائل, وما يمثل الحصن المنيع الذي يصون أمن هذا الشعب هو إيمانه؛ فلابدّ من ترصين هذا الحصن ما أمكن.

بوسعنا استثمار ما يُعدّ تهديداً وتحويله إلى فرصة كبرى ومضاعفة اقتدارنا، وبوسعي الإشارة إلى أمثلة عديدة من ذلك، ومنها الانتصار الكبير في لبنان وما يجري حالياً داخل الأراضي الفلسطينية؛ أي النهضة الإسلامية الأصيلة بما تحمله من خلود تتناقلها الأجيال، وها هم جيل الشباب داخل فلسطين يخوضون معترك الجهاد بأيدٍ عزلاء, مما لم يسبق له نظير منذ انطلاق حركة النضال الفلسطيني، كل ذلك ثمرة السياسة التي مارستها الجمهورية الإسلامية, وما صدعت به الثورة الإسلامية على صعيد الشرق الأوسط؛ فما شهدته حركة الشعب الفلسطيني في بدايتها من صدامات محدودة في الداخل

---

[2] سورة المؤمنون، الآية: 1.

[3] سورة العنكبوت، الآية: 64.

قد جرى قمعه وإخماده، وكان أقصى ما ابتكره المناهضون للكيان الصهيوني هو الاستقرار في الخارج, والقيام بعمليات خاطفة في الداخل ومن ثمّ الانسحاب، فلم يتّخذ التحرّك طابعاً جماهيرياً في أي وقت.

في مطلع انتصار الثورة الإسلامية, سألت أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية: لِمَ لا ترفعون اسم الإسلام؟ لماذا لا تعلنونها ثورة إسلامية؟! فأجاب متذرّعاً بسبب واهٍ هو: إنّ بيننا بعض المسيحيين! وها هم أُولئك المسيحيون والشيوعيون الذين كانوا معهم يعلنون التزامهم بنهج الإسلام والإمام! أجل، فعندما ينزل الإسلام المفعم بالحيوية والحركية إلى الساحة يلتحق به مَنْ عشق النضال، بَيْدَ أنّ أولئك لم يفعلوا؛ لأن الإيمان بالإسلام لم يدخل قلوبهم.

منذ أن اتّخذ التحرّك الفلسطيني طابعاً إسلامياً تحوّل إلى معضلة شائكة، فها هي الانتفاضة ــ كما ترون ــ التي تشهدها الأراضي المحتلة متواصلة منذ سنوات, ولن تتوقف؛ فلولا الانتفاضة لكانت قضية القدس قد انتهت منذ أمد بعيد؛ ولولا الانتفاضة لمورست المزيد من الضغوط على كلّ من لبنان وسوريا.

فالانتفاضة هي التي سلبت الاطمئنان من قلوب الحكّام الصهاينة إزاء الأوضاع داخل الأراضي الفلسطينية المحتلّة، والانتفاضة نابعة من صميم الإسلام, وهي ثمرة للسياسة التي اختطّتها الجمهورية الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، وستبقى هكذا.

انظروا المعطيات التي أفرزها اسم الإسلام, والشعار الإسلامي, والسياسة الصريحة التي نتبنّاها؛ فكل ذلك أوقع الصهاينة في خضمٍّ من المشاكل، فيما أحيا الهوية الإسلامية, وبعث النشاط في نفوس المسلمين، إذ أخذوا يشعرون بكيانهم؛ فلقد كان عدد المسلمين في بعض الدول الأفريقية ــ وقد زرتُ بعضها عندما كنت رئيساً للجمهورية ــ يبلغ عدّة ملايين، غير أنّ الحكومات لم تكن تعلن عن عددهم بصراحة، فإذا كان عدد المسلمين ــ مثلاً ــ أحد عشر مليوناً فإنهم يدّعون وجود مليون ونصف المليون! إذ كانوا يتكتّمون على الأمر، بل إنهم يهملون المناطق التي يقطنها المسلمون، لكن أوضاع المسلمين أخذت بالتغيّر بعد قيام الجمهورية الإسلامية، إذ استطاعوا العثور على هويتهم الإسلامية، وجرى الاهتمام بحقوقهم إلى حدٍ كبير؛ مما ترك أثراً ظاهراً على المستوى الدولي، فتحوّل ذلك إلى عمق استراتيجي للجمهورية الإسلامية.

لاحظوا أن رفع الشعار الإسلامي وراية النهضة الإسلامية في الوقت الـذي يثيـر العداء ويعدّ مصدراً للتهديد من ناحية، فهو من ناحية أخرى يمثل مدعاة لحصول نظـام الجمهورية الإسلامية على عمق استراتيجي على المستوى العالمي.

ليس عبثاً ما يثار ضدّكم من حرب إعلامية من قِبَل الصحافة العربية, المتبنّاة من قِبَل الأجهزة المضادّة لكم، فإنهم يحاولون القضاء على ما تقـدّمت الإشـارة إليـه؛ فلـولا تواجدكم ونفوذكم وفعّالية الشعار الذي ترفعونه لَما شعروا بالحاجة إلى كل ذلك العـداء والحرب الإعلامية، ولكن بما أنكم متواجدون فإنهم يشعرون بالحاجة لذلك، وهذا مـن بين الموارد التي يتبدّل فيها التهديد إلى فرصة.

توصيات

في خاتمة حديثي بودّي تذكيركم أيها الأعزاء ببعض الملاحظات, وهي:

لابدّ أن يكون التصدّي للفكر الصهيوني والأعمال الخيانية التي يرتكبها الصهاينة في المنطقة راية شاخصة بأيديكم على الدوام.

وإنّ التهاون إزاء الدعم الأمريكي المتواصل للصهاينة ــ الذي يُعدّ في نظري مـن الأمور التي لا يشوبها الشك والتردّد ــ لا ينسجم بأي حال مع أصولنا، وهذا الرأي ممّا ترتضيه البشرية، وإذا ما وجدتم الوهن قد دبّ إلى البعض فإنهم هم الذين سمحوا لهـذا الوهن بالتسرّب إليهم، فلو صمدوا لكانت النتيجة هي المقاومة والثبات.

فعليكم الثبات في هذه القضية، وعليكم الإدلاء بدلوكم, وبما يرتئيه الإسلام وإيـران الإسلامية في كل مباحثات تدخلونها.

إننا نحمل فكرة واضحة, هي: أنّ الشعب الفلسطيني هو الذي يقرّر مصير القضـية الفلسطينية، فليجلس فلسطينيو المهجر, وفلسطينيو الداخل ــ من مسـلمين ومسـيحيين ويهود ــ ويتّخذوا القرار بشأن النظام السياسي لبلدهم الذي استحال محوه من الخارطة الجغرافية، كما يتخذوا القرار بشأن اليهود القادمين من أوربا وأمريكا وروسيا وإيـران وسائر البلدان؛ وهذه الفكرة تحظى بالقبول أيضاً، وهي تتلاءم مع الأعـراف السـائدة عالمياً في الوقت الراهن، وإذا ما رُفضت أصبح من الواضح أن نتيجتها الحتمية ستكون الانتفاضة, وستؤدّي إلى إثارة الشعوب أيضاً.

فعليكم الثبات بكل اقتدار على صعيد هذه القضية.

وصيتّي الأخرى هي: علينا أن نأخذ بعين الجدّية توثيق علاقاتنا مع أوربا، وبطبيعة الحال فإنني أعتبر توثيق الأواصر مع آسيا أصلاً في غاية الأهمية، ولقد أكّدت مـــراراً على الإخوة في وزارة الخارجية بالنظر بعين الجدّية لقارة آسيا، وهذه السياسة ليســـت وليدة يومنا هذا، بل هي سياستنا التي اتّخذناها منذ أواخر حياة الإمام الراحل (رضوان الله) عليه.

علينا أن نُفهم الأوربيين أنّ الغرب لا يعني أمريكا، وإذا ما رفضنا أمريكا فـــذلك لا يعني رفض الغرب؛ والأوربيون أنفسهم يتفهّمون ذلك.

طبعاً إنني أوصي سفراءنا الأعزاء أن اجهدوا في بيان القضايا السياســـية المهمـــة لعوائلكم ليعيشوا أجواء البلد، وقوّوا في أبنائكم روح الإيمان الخالدة والصائنة.

وأؤكّد على تأسيس مدارس إيرانية لأبنائكم، فأنتم محتاجون إلى مدارس إيرانية أينما كنتم، ولو كانت تكاليفها باهظة، وعلى وزارة التربية والتعليم، وكذا وزارة الخارجيـــة والسفراء أنفسهم تقديم الدعم في ذلك.

ثقّفوا أبناءكم بالثقافة الإسلامية والإيرانية، وإنّ مجرد تدريس اللغة [الفارسية] في ذلك المعهد أو تلك المدرسة لا يعتبر مسوّغاً لتسليم أبنائنا بأيديهم، بل عليكم أن تعلّموهم اللغة بأنفسكم.

وفي الحقيقة فإن البيئة العائلية هي التي تخلق اللغة.

إنّ ما طرحته عليكم ينبع من الإخلاص لكم ولطموحاتكم وخطّكم وجهادكم، ســـائلاً المولى سبحانه أن يجعله لوجهه وفي سبيله ويتفضّل علينا وعليكم بالقبول، ويوفّقنا للسير في هذا السبيل ما استطعنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته